اللمسة الذهبية

كانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ مَلِكٌ يُدْعَى مِيدَاسَ (Midas) ، وَكَانَ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الثَّرْوَةِ ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ بَخِيلاً جِدًّا . وَكَانَ غَرَامُهُ بِالذَّهَبِ وَجَمْعِهِ يَفُوقُ غَرَامَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ . وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ صَغِيرَةٌ اسْمُهَا « مَارِي جُولْد » (Mary Gold) وَكَانَ حُبُّهُ لَهَا لاَ يَقِلُّ عَنْ حُبِّهِ لِلذَّهَبِ .

وَكَانَ مِيدَاسُ يَتَمَنَّى عَلَى الدَّوَامِ لَوْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَيْهِ ، يَسْتَحِيلُ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ. وَذَاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَمَا كَانَ جَالِساً بَيْنَ خَزَائِنِهِ يُقَلِّبُ الذَّهَبَ وَيَتَفَقَّدُهُ لِيُمَتِّعَ نَاظِرَيْهِ بِبَرِيقِهِ الْخَلاَّبِ ، رَأَى طَيْفَ خَيَالٍ غَرِيبٍ جَمِيلِ الطَّلْعَةِ ، عَلَيْهِ ابْتِسَامَةٌ جَذَّابَةٌ يَقْتَرِبُ نَحْوَهُ ، حَتَّى صَارَ عَلَى بُعْدِ خُطُوَاتٍ مِنْهُ . وَخَاطَبَهُ قَائِلاً : « مَا أَجْمَلَ كُنُوزَكَ يَا مِيدَاسُ ! لاَ شَكَّ أَنَّكَ أَسْعَدُ رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ . »

فَقَالَ الْمَلِكُ : « كَلاَّ ! إِنَّ كُنُوزِي هٰذِهِ لاَ تَكْفِي ، وَلَنْ أَشْعُرَ بِالسَّعَادَةِ الْحَقَّةِ إِلاَّ إِذَا أَصْبَحْتُ أَغْنَى رَجُلٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ » .

فَسَأَلَ الطَّيْفُ الْغَرِيبُ : « وَمَاذَا يُرْضِيكَ إِذَنْ؟ »

فَأَجَابَ الْمَلِكُ : « وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَلْمِسُهُ بِيَدِي يَتَحَوَّلُ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ . »

فَأَجَابَ الطَّيْفُ : « أَهٰذَا كُلُّ مَا تَبْغِي ؟ وَهَلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّتُكَ هٰذِهِ تَطِيبُ نَفْساً وَتَنْعَمُ بَالاً ؟ »

فَرَدَّ الْمَلِكُ : « نَعَمْ ، هِيَ غَايَةُ مَا أَتَمَنَّى . »

فَقَالَ الطَّيْفُ : « حَسَنًا ! ! لِتَكُنْ إِرَادَتُكَ ! سَوْفَ تُمْنَحُ اللَّمْسَةَ الذَّهَبِيَّةَ مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ . »

وبينما كان ميداس جالسا وسط خزائنه رأى طيف خيال غريب .

وَاخْتَفَى الطَّيْفُ . أَمَّا مِيدَاسُ فَقَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ يَتَرَقَّبُ طُلُوعَ النَّهَارِ ، حَتَّى إِذَا لاَحَ نُورُ الصُّبْحِ

بأنَ لَهُ لَوْنُ الأغطيةِ ، وَقَدْ صَارَ أَصفَرَ رَائِعاً كَلَوْنِ الذَّهَبِ . وَلَمَّا تَفَقَّدَهَا ، أَيقَنَ أَنَّ اللَّمْسَةَ الذَّهَبِيَّةَ قَدْ بَدَأَ أَثَرُهَا ، لانَّ الأَغْطِيَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ كُلُّهَا صَفَائِحَ رَقِيقَةً مِنَ الذَّهَبِ الخَالِصِ. وَقَفَزَ « مِيدَاسُ » قَفْزَةً فِي الْهَوَاءِ ، وَهُوَ دَهِشٌ مَذْهُولٌ . وَجَعَلَ يَلْمِسُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الغُرْفَةِ فَيَسْتَحِيلُ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ .

وَقَامَ « مِيدَاسُ » يَرْتَدِي مَلاَبِسَهُ ، وَلَشَدَّ مَا كَانَ دَهَشُهُ ، عِنْدَ مَا وَجَدَ كُلَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَلاَبِسِ قَدِ اسْتَحَالَ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ !! ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْظَارَهُ لِيَلْبَسَهُ كَعَادَتِهِ ، وَمَا كَادَ يَضَعُهُ عَلَى عَيْنَيْهِ حَتَّى اسْتَحَالَ الزُّجَاجُ إِلَى ذَهَبٍ صُلْبٍ ، لاَ يَرَى مِنْ خِلاَلِهِ شَيْئًا . فَلَمْ يَيْئَسْ كَثِيراً ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لاَ يَهُمُّنِي أَنْ أَفْقِدَ مِنْظَارِي أَو عَيْنَيَّ فِي سَبِيلِ الذَّهَبِ !! » وَنَزَلَ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، وَأَخَذَ يَتَنَقَّلُ مُسْرِعاً مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى ، يَلْمِسُهَا فَتَصِيرُ ذَهَباً بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الأَزْهَارِ وَالأَوْرَاقِ . ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَدَخَلَ غُرْفَةَ الطَّعَامِ لِلإِفْطَارِ ، وَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ ، وَدَخَلَتْ عَلَى إِثْرِهِ ابْنَتُهُ « مَارِي جُولْد » وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَبْكِي ، وَبِيَدِهَا وَرْدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ . فَسَأَلَهَا أَبُوهَا عَمَّا يُبْكِيهَا ، فَقَالَتْ : « يَا وَالِدِي ، أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ لَكَ وَرْداً كَعَادَتِي كُلَّ صَبَاحٍ ، فَوَجَدْتُ الوَرْدَ وَالرَّيَاحِينَ أَجْسَاماً صَمَّاءَ لاَ رَائِحَةَ لَهَا ، كَمَا تَرَى !! »

وكانت ماري جولد تبكي .

فَأَجَابَهَا أَبُوهَا : « لاَ تَبْتَئِسِي يَا بُنَيَّتِي ، فَإِنَّهُ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَسْتَبْدِلِي بِوَرْدَةِ ذَهَبٍ مِئَاتِ الْوَرْدِ ذِي الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ . » فَصَاحَتْ « مَارِي جُولْد » سَاخِطَةً : « وَلَكِنَّنِي لاَ أُحِبُّ هَذَا الْوَرْدَ الَّذِي لاَ رَائِحَةَ لَهُ ، وَلاَ جَمَالَ فِيهِ » .

وَمَلأَ الْمَلِكُ قَدَحاً مِنَ الشَّايِ لِيَشْرَبَهُ . وَمَا كَادَ يُمْسِكُهُ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى ذَهَبٍ خَالِصٍ ، ثُمَّ رَفَعَ الْقَدَحَ إِلَى فَمِهِ لِيَشْرَبَ ، فَإِذَا بِالشَّايِ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى كُتْلَةٍ مِنَ الذَّهَبِ أَيْضاً !! وَحَاوَلَ أَنْ يَأْكُلَ فَطِيراً ، أَوْ خُبْزاً أَو بَيْضاً ، وَلَكِنْ كَانَ كُلُّ

شيْءٍ يتحوَّلُ إلى ذهبٍ صُلْبٍ قبْلَ أنْ يَصِلَ إلى فمِهِ .
وازْدادَتْ حَيرَةُ الملكِ ، واشْتَدَّ اضْطِرابُهُ ، لأنَّهُ ما كانَ يَدُورُ بخَلَدِهِ أنْ تَمْتَدَّ « اللَّمْسَةُ الذَّهبيةُ » إلى طَعامِهِ ! ! وكَيْفَ السبيلُ إلى الأكْلِ إذَنْ ؟ ؟
ولاَحَظتِ ابنَتُهُ ما حلَّ بِهِ منَ الْفزعِ ، فَجرَتْ مُسْرِعةً إليهِ ، وطوَّقتْ عُنُقَهُ بذِراعَيْها قائلةً : « ما بالُكَ ، يا والدِي مُضْطَرِباً لاَ تأْكُلُ ؟ ؟ » فقبَّلَها الملكُ وحاولَ أنْ يُهَدِّئَ رَوْعَها ، ولكِنْ ماذَا حدَثَ ؟
« مارى جُولْد » لا تتكَلَّمُ ولا تتحرَّكُ ! ! لقدِ استَحالتْ إلى تِمْثالٍ أصَمَّ منَ الذَّهبِ لاحياةَ فيهِ ! !
وهُنا جُنَّ الملكُ لِهَوْلِ ما رأَى ، وأخذَ يبْكِي بُكاءً مُرًّا ، ويلْعَنُ الساعةَ التى مُنِحَ فيها « اللَّمْسَةَ الذَّهبيةَ » التى حرَمَتْهُ ابنَتَهُ الْعَزيزَةَ .

وظَلَّ هكَذَا ساعةً منَ الزَّمانِ ، وهُوَ عَلَى أسْوَأِ مَا يَكُونُ منَ الْبُؤْسِ وَالْفَزَعِ وبَيْنَما هو كذلكَ ، إذْ ظَهَرَ لهُ « الطَّيْفُ الْغَريبُ » مرَّةً أُخْرَى ، فَحَيَّاهُ ، وسأَلَهُ قائلاً : « وَالآنَ يا أخى كَيْفَ حالُكَ . أَرْجُو أنْ تَكُونَ « اللَّمْسَةُ الذَّهبيةُ » قد أَسْعَدَتْكَ . » فأَجابَ الملكُ باكِياً : « يا سيِّدِى ، إنِّي أتْعَسُ إنْسانٍ في العالَمِ . « فاللَّمْسَةُ الذَّهبية » قد ملأتْ قصْرِى ذَهباً ، وَلَكِنْ ملأَتْهُ ، بجانبِ ذلكَ ، وَحْشَةً وَبُؤْساً . وَلَقَدْ حَلَّ بِيَ الْجُوعُ بسَبَبِها ! ! وَفقَدْتُ عَزِيزَتِي « مَارِى جُولْد » بسَبَبِها أيْضاً ! ! فأَنْقِذْنِي يا سيِّدِى ! ! إنِّي أُعْطِي كُلَّ مَا أَمْلِكُ منْ ذَهبٍ فى سبيلِ إعادَةِ الْحياةِ لابْنَتِي ! »

فأجابَهُ الطَّيْفُ : « يَبْدُولي أنَّكَ الآنَ أَرْجَحُ عقْلاً ، فهلْ أنتَ راغِبٌ حقا فى التَّخَلُّصِ منْ تلكَ اللَّمْسَةِ الذَّهبيةِ ؟ ؟ » فأَجابَ الملكُ بلَهَفٍ : « نَعَمْ ، يا سيِّدِى ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِداءُ ابْنَتِي ! »

فأَجابَ الطَّيْفُ : « حَسَناً ! اذْهبْ إلى النَّهْرِ الْمُجاوِرِ ، واسْتَحِمَّ بِمائِهِ ، تَعُدْ حالاً إلى سيرَتِكَ الأُولَى ، وَكَذلِكَ ابْنَتُكَ . وَلَعَلَّكَ لا تُقْصِرُ هِمَّتَكَ فِيما بعدُ عَلَى اقتناءِ الذَّهَبِ وحَبْسِهِ عنْ نفْسِكَ وَعنِ الناسِ . » قالَ ذلِكَ ثُمَّ اخْتَفَى .

وَفعَلَ « ميداسُ » مَا أُمِرَ بِهِ ، ففَارَقَتْهُ « اللَّمْسَةُ الذَّهبيةُ » وَعادَتِ الْحياةُ إلى ابْنَتِهِ « مَارِى جُولْد » . وَهكَذا أَدْرَكَ « ميداسُ » نَتيجَةَ الْجَشَعِ وَالْبُخْلِ ، وَأَنَّ السَّعَادَةَ لَيْسَتْ مَرْهونَةً بالمالِ .